

قال تعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} البقرة ١٤٤

الكعبة هي بيت الله الحرام ، وقبلة المسلمين ، جعلها الله سبحانه وتعالى مناراً للتوحيد ، ورمزا للعبادة ، يقول الله تعالى : (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) {المائدة ٩٧} ، وهي أول بيت وضع للناس من أجل عبادة الله جل وعلا ، قال تعالى : (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) {آل عمران ٩٦} .

وللكعبة المشرفة تاريخ طويل ، مرت فيه بمراحل عديدة ، وبيئتئ تاريخها في عهد نبي الله إبراهيم وولده إسماعيل - عليهما السلام - حين أمره الله سبحانه وتعالى بأن يسكن مكة هو وأهله ، وكانت مكة في ذلك الوقت جدباء قاحلة .

ثم استقرت بعض القبائل العربية في مكة من "العماليق" و"جرهم" في القرن الثالث الميلادي، ثم جاءت (خزاعة) وهي جزء من جرهم حيث ظهر عمرو بن لحي وهو أول زعيم لقبيلة خزاعة اخترع عبادة الأصنام، ثم ظهرت قريش وهي من كنانة أحد قبائل مضر تحت أمرة قصي بن كلاب جد النبي الرابع .

ثم وتصدع بناء الكعبة أكثر من مرة نتيجة لكثرة السيول والعوامل المؤثرة في البناء ، وكان أفراد تلك القبيلتين يتولون إصلاحها ، ورعايتها

ومرت السنون ، حتى قامت قريش ببناء الكعبة ، وذلك قبل البعثة بخمس سنين ، وكان بناء الكعبة آنذاك على هيئة حجارة منضودة موضوعة بعضها فوق بعض من غير طين ، مما جعل السيول التي تجتاح مكة بين الحين والآخر تؤثر على متانة الكعبة فأوهت بنيانها ، وصدعت جدرانها ، حتى كادت أن تنهار ، فقررت قريش إعادة بناء الكعبة بناء متينا يصمد أمام السيول ، ولما أجمعوا أمرهم على ذلك وقف فيهم أبو وهب بن عمرو فقال : " يا معشر قريش ، لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيبا ، لا يدخل فيها مهر بغي ، ولا بيع ربا ، ولا

مظلمة أحد من الناس" لكن قريشا تهيبت من هدم الكعبة ، وخشيت أن يحل عليهم بذلك سخط الله ، فقال لهم الوليد بن المغيرة - أنا أبدوكم في هدمها، فأخذ المعول وبدأ بالهدم وهو يقول : اللهم لم نزع ، ولا نريد إلا الخير ، فهدم من ناحية الركنين ، فترقب الناس ليلتهم ليروا هل أصاب المغيرة شر بسبب ما فعل ؟ فلما رأوه يغدو عليهم لا بأس به ، قاموا إلى الكعبة فأكملوا هدمها ، حتى لم يبق منها إلا أساس إبراهيم - عليه السلام.

سبب النزول:-

نزلت الآية في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة بسبب أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) كان يتوجه إلى الكعبة في الصلاة، فقد كان (صلى الله عليه واله وسلم) يتجه إلى بيت المقدس لمدة لا تقل عن ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان النبي (صلى الله عليه واله وسلم) يحب أن يتوجه إلى الكعبة فأنزل الله تعالى " قد نرى تقلب وجهك في السماء "

المعنى العام:-

كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يتوجه إلى بيت المقدس في الصلاة كما كان أنبياء بني إسرائيل يفعلون، ولكنه كان يحب استقبال الكعبة لأنها قبلة أبيه إبراهيم (عليه الصلاة والسلام)، لأنه ادعى إلى إيمان العرب ولمخالفة اليهود، يقولون يخالفنا محمد في الدين وبتبع قبلتنا، ولولا ديننا لم يدر أين يتوجه في صلاته، من أجل هذا كره النبي أن يبقى متوجها إلى قبلتهم، وأحب التوجه إلى الكعبة ولكنه لم يسأل الله تعالى ذلك.

ومعنى الآية " قد نرى تقلب وجهك " ، " فلنوليك قبلة ترضاها " .

أي فلنوجهك ولنحولك في الصلاة إلى قبلة تهواها وتميل نفسك إليها لأهداف صحيحة أضمرتها في نفسك تريد بها اجتماع الناس على قبلة واحدة، ويكون من وراء ذلك خير كثير وعظيم.

فول وجهك نحو المسجد الحرام وتلقاه، ولي وجهك نحو الكعبة المشرفة رمز التوحيد ومظهر الإيمان وقبلة أبي الأنبياء إبراهيم (عليه السلام): قال تعالى: {هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ} (الحج ٧٨)

وقوله " فول وجهك " خطاب خاص بالنبي (صلى الله عليه واله وسلم)، اتبعه بخطاب عام للمؤمنين فقال تعالى: " وحيثما كنتم فولوا وجهكم شطره " فنذكر خطاب المؤمنين بعد خطاب النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، مع أن خطاب النبي خطاب لامته وذلك من باب الاهتمام بشأن الكعبة ودفع توهم أن الكعبة قبلة أهل المدينة وحدهم لأن الأمر بالتوجه نحو الكعبة كان في المدينة فرما يظن البعض أن قبلة بيت المقدس لا تزال باقية، فدفعنا لهذا الإيهام كان التصريح بعموم الحكم فبين الله سبحانه وتعالى أنها قبلة لجميع المصلين في مشارق الأرض ومغاربها.

" وأن الذين أوتوا الكتاب" أن القبلة إلى الكعبة هي الحق، وهي قبلة إبراهيم عليه السلام، وأن علماء اليهود والنصارى يعلمون أن تحويل القبلة إلى الكعبة حق مأمور به من ربهم وإنما علموا ذلك لأن كان في بشارة الأنبياء لهم أن يكون نبي من صفاته كذا وكذا وكان في صفاته أنه يصلي إلى القبلتين.

فقولهم عند التحويل ما أمرت بهذا يا محمد، عناد ومكابرة، فأنزل الله تعالى " وما الله بغافل عما يعملون " أي ليس يغافل عما يعمل هؤلاء من كتمان صفة محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، وعنادهم في عدم الإيمان.

وقوله " وما الله بغافل " فيه وعد للمؤمنين ووعد للكافرين، فان الله سبحانه وتعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا فيحصيها عليكم وعليهم ، قال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة ٨،٧)

الأحكام الشرعية

أولاً: حكم استقبال القبلة :-

اتفق علماء الإسلام على أن استقبال القبلة شرط من شروط صحة الصلاة المفروضة والنافلة، إلا لضرورة في الفريضة كالقتال فإن المقاتل تكون قبلته جهة آمنة، أو لرخصة في النافلة إذا كان راكبا على دابة أو في سفينة لا يستقر بها فقبلته حيث توجهت به دابته أو سفينته، وقد اجمع العلماء على إن المشاهد للكعبة فرض عليه استقبال عين الكعبة. أما إذا لم يكن مشاهدا لها فهل يجب عليه استقبال عين الكعبة أم يكفي استقبال جهتها؟

اختلف العلماء في ذلك إلى فريقين:

الفريق الأول: ذهب الشافعية والحنابلة إلى أن الواجب استقبال عين الكعبة للمشاهد، وأما الغائب فلا بد له من قصد الإصابة مع التوجه إلى الجهة، وقد ساقوا لذلك أدلة منها:

١. **الكتاب:** ظاهر الآية " **فول وجهك شطر المسجد الحرام** " فشطرت الشيء جانبه الذي يكون محاذيا له.

٢. **السنة:** روي عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أنه لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها، ولم يصلي حتى خرج منه فلما خرج صلى ركعتين في قبل الكعبة، وقال هذه القبلة. ومعنى قول النبي حصر القبلة في الكعبة عينها لا غيرها.

٣. **القياس:** أن مبالغة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في تعظيم الكعبة أمر بلغ مبلغ التواتر، والصلاة من أعظم شعائر الدين، وتوقيف صحتها على استقبال عين الكعبة يوجب مزيد الشرف و فوجب أن يكون مشروعاً.

الفريق الثاني: - ذهب الأمامية والحنفية والمالكية إلى أن الواجب للغائب استقبال جهة الكعبة، وأما دليلهم على ذلك:-

الكتاب: فظاهر قوله تعالى " **فول وجهك شطر المسجد الحرام** " يفهم من ذلك أن من استقبل الجانب الذي فيه المسجد الحرام فقد ولى وجهه شطره ، سواء أصاب عين الكعبة أم لا ، ويكون قد أتى بما أمر به، وهو جهة المسجد الحرام .

١. **السنة:** روي عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أنه قال (**ما بين المشرق والمغرب قبلة**).

ما روي عن ابن عباس مرفوعاً قال: (**البيت قبلة لأهل المسجد ، والمسجد قبلة لأهل الحرم ، والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمتي**).

فعل الصحابة: فهو أن أهل مسجد قباء كانوا في صلاة الصبح مستقبلين لبيت المقدس مستدبرين الكعبة فقبل لهم أن القبلة قد حولت إلى الكعبة فاستداروا في الصلاة من غير طلب

دليل على الكعبة ولم ينكر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عليهم ذلك وسمي مسجدهم
بذي القبلتين، ولا يمكن معرفة عين الكعبة إلا بعد الوقوف على أدلة هندسية يطول النظر فيها
فكيف يمكن أن يكونوا قد أدركوها في ظلمة الليل وفي أثناء الصلاة.

المعقول: لو كان استقبال عين الكعبة واجبا لوجب أن يكون تعليم الدلائل الهندسية واجبا،
لأنه لا يتم الواجب إلا بمعرفة الطرق الهندسية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ولما كان
تعلم الدلائل الهندسية غير واجب كان استقبال عين الكعبة غير واجب.

الرأي الراجح: رأي الفريق الثاني هو الأرجح لان استقبال عين الكعبة تكليف ما لا يصل
إليه، وأما استقبال الجهة فهو الصحيح لثلاثة أوجه هي:
١. أنه الممكن الذي يرتبط به التكليف.

المأمور به في القرآن في قوله تعالى " **فول وجهك شطر المسجد الحرام** " والشطر الناحية أو
الجهة.

أن العلماء احتجوا بالصف الطويل الذي يعلم قطعا أنه أضعاف عرض البيت هذا بالإضافة
إلى فعل الصحابة الذين استداروا إلى الكعبة بعد إن كانوا مستقبلين بيت المقدس فلم يتحروا
عين الكعبة في استدارتهم وإنما اکتفوا بجهتها.

ثانيا: حكم الصلاة فوق ظهر الكعبة:-

انقسم العلماء إلى فريقين، فمنهم من ذهب إلى عدم صحة الصلاة على ظهر الكعبة لأن
المستعلي عليها لا يستقبلها وإنما يستقبل شيء آخر.
ومنهم من ذهب إلى جواز الصلاة فوق ظهر الكعبة مع الكراهية لما في الاستعلاء عليها من
سوء الأدب، إلا أن الصلاة صحيحة لأن القبلة هي الجهة من قرار الأرض إلى عنان السماء.